مشاهدات في الهند

دراسة نقدية

الألوكة
www.alukah.net

د. أورنك زيب الأعظمي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"مشاهدات في الهند"، دراسة نقدية

- د. أورنك زيب الأعظمي

منذ فجر تاريخها جذبت الهند أنظار السيّاح فالتجّار فالغزاة وذلك لأجل ثرائها وخصبها فيكثر فيها من المعادن ما يقلّ في غيرها من البلاد وهي تخصب للعديد من الأنبتة الثمينة المحتاج إليها في الحياة، وزدْ عليها ما لم تزل تنتجه أبناؤها من الأسباب والآلات المفيدة بكل المناسبات. هذه وأمثالها لم تزل تسترعي عناية الأجانب بها وبأبنائها وبما قدّموه من الإنتاجات الرائعة.

وباختلاف النيّات عددًا ومحتوًى فقد ضبط معظم من توجّه نحوها ووطّأتها قدماه، ما شهدوه من نوادرها أو ما رأوه من عادات أبنائها وتقاليدهم أو ما اشتروه من روائع منتوجاتها. نجد ذكر هذه كلها في مذكّرات السيّاح الأجانب فمنهم من أثنى عليها ومنهم من قام بالنقد عليها ومنهم من بين بين فأنصف في البيان واقتصد في التحليل ولم يكذب في النقد والغربال. والسيّاح العرب لهم قصب السبق في هذا المجال ولهم الحظّ الأوفر في الحمد والمدح والإطراء، فكتّابهم بجانب شعرائهم يثنون على وطننا وما قدّمته أسلافنا من أسباب العيش وتسهيلات المعاش.

ومن بين تلك الشعراء والكتّاب العرب نجد اسمًا لكاتبة مصرية لم تزر الهند لأجل زيارة معالمها بل للحضور في واحد من مؤتمراتها فجذبت أنظارها معالمنا التاريخية وسحرت قلبها عادات أبنائها وبناتها وما تميّزوا به من الآراء والأفكار فقيّدت انطباعاتها ونشرتها باسم "مشاهدات في الهند"، وهي مذكرة تتعلق بالهند قبل الاستقلال، الهند التي كانت تضمّ إلى بلادها مناطق الباكستان وبنغلاديش. إن هذه مذكرة لكاتبة ليست متعصبة لدينها بل لها عين مقتصدة وذهن منطلق وقلب يحبّ الإنسانية فمذكرتها ثبتت دراسة نقدية موضوعية لكاتبة مثقفة مسلمة عن بلد يسكنه أغلبية الهندوس. لنقرأ في الأسطر التالية ما ضبطته مما شهدته من المعالم والتقاليد وما قارنته من الأشياء المتواجدة والمتفقدة بين البلدين؛ الهند ومصر.

الموجز عن حياة الكاتبة: هي أمينة السعيد (١٩١٤-١٩٩٥م) ولدت بالقاهرة وتعلّمت اللغة الإنجليزية في مدرسة شبرا، ثم التحقت بالجامعة على مشورة والدها وتخرّجت في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول. إنها كانت أول من شجّع البنات المصريات على ممارسة الألعاب الرياضية. وارتدت الشورت وهي تلعب التنس في ساحة الجامعة، وخلعت غطاء الرأس ولكنها تحرص دائماً على كرامة الفتاة المصرية في التعليم الجامعي. وخلال فترة الدراسة كان زميلها في الجامعة "مصطفى أمين" قدّمها إلى "محمد التابعي" الصحفي المعروف وقت ذلك، فقدّمت له بعض القصص الاجتماعية وقدّمها زميلها "محمد فتحي" إلى الإذاعة لتعمل بالقطعة تترجم بعض القصص من الإنجليزية وتلقيها بصوتها في الميكروفون. وكان خطيبها يذهب بها إلى مشاويرها ويعود بها إلى بيتها. وهكذا فتح لها "مصطفى أمين" أبواب الصحافة وفتح لها "محمد فتحي" أبواب الإذاعة وفتح الله لها أبواب الزواج.

تخرّجت أمينة ووجدت فرصتها في "دار الهلال" وفي مجلة "المصور" بدأت بباب "اسألوني" الذي لازمها وعرفت به. تردّ على أسئلة القرّاء وعرفت بسهولة العبارة وصفاء الأسلوب وعذوبة النفس والروح بكل ما تكتب. وأصبحت أوّل كاتبة بعد "باحثة البادية" تهتم بالشؤون الاجتماعية اهتمامًا شخصيًا متصلًا بالحياة العامة. وهكذا دخلت "أمينة السعيد" الصحافة من باب "اسألوني" وزادت الألفة بينها وبين الصحافة وبين دار الهلال، ترأست تحرير مجلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"حواء" كما ترأست تحرير مجلة "المصور" وترأست مجلس إدارة "دار الهلال"، وكانت أوّل صحافية مصرية تزور الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد السوفيتي بحكم عملها الصحفي. وأصبحت وكيلة نقابة الصحفيين وعضوًا بالمجلس الأعلى للصحافة. وبعد الإحالة إلى المعاش أصبحت مستشارة لـ"دار الهلال" وعضواً بالمجالس القومية المتخصصة، وعضوًا بمجلس الشورى لدورتين. وكان من الطبيعي أن تهتم "أمينة السعيد" بالنشاط النسائي، ووجدت من قائدة النشاط النسائي في مصر "هدى شعراوي" التقدير والتشجيع وعاونتها في القيام برحلات مختلفة إلى الخارج كانت أهمّها "الرحلة إلى الهند" وكانت ثمرة تلك الرحلة كتابها المهم "مشاهدات في الهند". ومن الكتب التي صدرت لها كتاب "وحي العزلة" و"أوراق الخريف".

وأصبحت أمينة السعيد رائدة ثورية في مجال الفكر الاجتماعي بصفة عامة، وفي مجال التطور النسائي بصفة خاصة. وكانت ترى أن الزوجة بلا كرامة والزوجة المحرومة من السعادة هي امرأة في إجازة عن العطاء وعن المشاركة في بناء الوطن. ولم تكن في تحرير بابها الشهير "اسألوني" مجرد محرّرة تتلقى الرسائل وتقوم بالردّ عليها، ولكنها كانت تشعر بمسئوليتها إزاء حلّ مشكلات القرّاء والقارئات. تقوم بالاتصالات الشخصية والتحقق من المشكلات.

ولم أرَ قلماً أكثر حدة من قلمها ولا صوتًا أعلى من صوتها عندما أطلت فتنة بهذا الوطن العزيز. امتشقت قلمها وارتفع صوتها ضد التطرف والمتطرفين مؤكدة وحدة هذا الشعب العظيم. وقالت إن المتطرفين والمتعصبين يعملون على تقسيم الشعب وفي الوقت ذاته يعملون على تقسيم المصريين إلى رجال ونساء بدعوى التقوى المزعومة وينصبون أنفسهم لتحديد الحلال من الحرام، ويزعمون أنهم قوّامون على الدين والدين الصحيح منهم براء. وأعادت إلى الذاكرة أصواتًا ارتفعت في وجهها عندما كانت طالبة بالجامعة وشاركت في ندوة عن مسرحية أمير الشعراء "أحمد شوقي" – مجنون ليلى – خرجت الأصوات تقول: "وداعًا للحياء" لأن فتاة جامعية شاركت في الحديث عن مجنون ليلى. كانت "أمينة السعيد" من أكثر النساء طلبًا لحقوق المرأة وكان لأسلوبها وجرأتها في اقتحام الموضوعات أثرٌ هائلٌ في تشكيل الكيان الاجتماعي، وتحرير المرأة من العادات والتقاليد المتوارثة.

الحافز على زيارتها للهند: ولو أن الرحلة إلى بلد أجنبي لا سيما البلاد القاسية صعبة للغاية بل هي دائمًا مثل السقر وأن الكاتبة لم تكن تعرف عن البلد المزار إلا قليلًا ولكنها كابدت هذه المشقة ووطّأت نفسها ولو بعد عناد على أن تزور هذا البلد الذي هو تاج البلاد وأمّ الدول. تقول الكاتبة نفسها عن رحلتها وكيف هي ارتضت نفسها بعدما جحدت:

"--- فليس من المعقول أن ينتقل إنسانٌ من قارة إلى قارة وقد خلّف وراءه الوطن والأهل والأحباب دون حافز قوي يضطره إلى ذلك. ولكن أ كان حافزي قويًا أيضًا؟ بالأمس بدا الأمر ضروريًا حتى أنني قبلت السفر بعد أربع وعشرين ساعة، وارتضيت الرحيل إلى أقصى نواحي المعمورة، ولكن رأيي تغيّر هذا الصباح وأنا أجلس في مقصف المطار أنتظر ساعة الرحيل وبدا الأمر تافهًا لا يستحق المخاطرة، فأنحيت على نفسي باللائمة أن قبلت السفر وحيدة إلى بلد بعيد تفصلنا عنه آلاف الأميال، ولا أعرف عن حياته وشئون شعبه شيئًا. ترى ماذا يكون لو سقطت الطائرة وتحطّمت فحرمت وأولادي رؤية بعضنا بعضًا؟ سيقول الكل: إنها طائشة جريئة تترك أطفالها من أجل مؤتمر نسائي هندي، فاستحقت عقاب الجرأة والطيش"[1].

[1] مشاهدات في الهند لأمينة السعيد، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، أغسطس ١٩٤٦م، ص ١٠

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتقول عن معرفتها عن الهند وشعبها:

"ولم أكن أعرف إذ ذاك عن الهند قليلًا ولا كثيرًا، اللهم إلا ما ترسمه المخيلة من صور غريبة يزينها زخرف المبالغة: فهي بلاد كبيرة بعيدة تضمّ بين جنباتها الواسعة شعبًا يركب الأفيال، ويتمرغ في الذهب، ويسكن قصورًا شامخة رصعت جدرانها بالجواهر والأحجار الكريمة ويتزعم هذا الشعب المترف الغني فيلسوف زاهد، لا يرتدي من الثياب إلا قليلها، ويقتات بلبن ماعزة لا تفارقه. ولقد استطاع هذا الناسك المتبتل أن يملك زمام مواطنيه، ويوجههم نحو التحرر بطريقة سلمية عجيبة استعصى فهمها علينا معشر العرب ---"[٢].

فكان عهدها بالهند حديثًا كما كانت معلوماتها عنها تافهة فهي لم تكن نفسها ترضى عن زيارة هذا البلد البعيد للغاية.

مدن الهند ومعالمها ورجالها وطبائع أهاليها: ومن خلال زيارتها للهند قامت الكاتبة بوصفها؛ مدنها ومعالمها وطبائع أهلها. فنودّ أن نشير إلى طرف مما أدلت به من الآراء والانطباعات. فهي تقول عن موقع الهند:

"موقع الهند فريد، ففيها من مظاهر الطبيعة ما يحميها، ويرد عنها شرّ العدوان، فالمحيط يحوطها من ثلاث جهات، وجبال الهملايا تقف سدًا منيعًا في الجهة الرابعة. والقارة الهندية المنيعة بهذه الحدود الطبيعية مقسمة ثلاثة أقسام: ففي الشمال سلسلة جبال الهملايا أعلى جبال العالم، وفي الجنوب هضبة الدكن، وبين المنطقتين تقع سهول منبسطة ذات خصوبة زراعية لا يستهان بها؛ وقد بلغ المزروع من هذه المنطقة مائة مليون من الأفدنة!"[٣].

وتمضي قائلًا:

"وتقوم الهملايا بعمل حيوي عظيم في الزراعة، فهي تمنع الرياح الجافة المنحدرة من وسط آسيا، فيظل جوّ الهند محتملًا مقبولًا. وهي منبع الأنهار الضخمة مثل السند والجنج والبراهما بوترا: فرياح المنسون تحمل أبخرة البحار إلى تلك الجبال، فتتحول إلى أمطار غزيرة تملأ الأنهار بالمياه، فتروى الأراضي، وتنبت غلة وفيرة. وبفضل الهملايا وُجدت بالهند مساقط مياه، تولد الكهرباء المستعملة في الإضاءة ---"[٤].

وتضيف قائلة:

"وتمتد بلاد الهند على خطوط عرض مختلفة، ففيها المناطق الاستوائية بغاباتها وزنوجها؛ وفيها الجبال بثلوجها الدائمة، وسكانها الشقر، وفيها السهول بحقولها ومزارعيها الآريين أي أن الهند تحوي أجناسًا بشرية مختلفة، وهي ميزة عظيمة؛ لأننا نعلم أن لكل شعب صفاته الخاصة، التي تؤهّله لناحية من نواحي الحياة العملية والاقتصادية"[٥].

وبجانب موقعها وجوّها وميزتها السكانية فهي تحدّثت عن مدنها وما تميّزت به وما اتصفت فهي تقول –مثلًا- عن كراتشي:

---

[٢] المصدر نفسه، ص ١٢
[٣] المصدر نفسه، ص ١٢٥
[٤] المصدر نفسه، ص ١٢٥
[٥] المصدر نفسه، ص ١٢٦

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"كراتشي مدينة حديثة لم يمض على إنشائها غير بضع عشرات من السنين، وهي لذلك تعتبر أنظف مدن الهند، وأكثرها نظامًا: فطرقاتها طويلة معبّدة، تقوم على جانبيها مبانٍ صغيرة قليلة الارتفاع، لا تزيد على طبقة أو طبقتين. ويقع حيّ المساكن في ناحية من المدينة، وقد شيّدت فيه منازل بيضاء أنيقة، تحيط بها حدائق واسعة، ولكنها منازل منخفضة، طابعها البساطة في البناء والتأثيث، لأن الحكومة تملك الكثير منها، وتخصّصه لرجال الجيش والموظفين. ويتوّج هذا الحي قصر منيف لأسرة هارون الشهيرة، ولقد بني هذا القصر على الطراز الهندي --- والناحية الأخرى من المدينة تحوي حيًا تجاريًا عظيمًا يقصده الغرباء عقب نزولهم بأرض الهند ---"[٦].

وتقول عن دلهي وهي من أعرق مدن العالم وأمنعها:

"لا أظنّ أنني شاهدت مدينة خلقت في نفسي أثرًا بليغًا مثل دلهي عاصمة الهند، وسيدة المدن، وقبلة السائحين --- وتعتبر دلهي من أقدم مدن العالم، فقد شيّدت قبل روما، وعرفت قبل عهد الإسكندر، وظلت منذ ذلك الوقت محتفظة بجمالها ورونقها، فلم تنل الدهور المتعاقبة شيئًا من عزتها وجبروتها، ولم تهزّ الأحداث التاريخية سكانها، فقد كانت دلهي أقوى من التاريخ، فوقفت غير عابئة به مهما تقلبت أطواره وتباينت صفحاته --- فهي تمتدّ من الجنوب إلى الشمال، فتقع في مهبّ الرياح الجبلية الطيبة التي تخفّف كثيرًا من وطأة صيفها الهندي القائظ؛ فضلًا عن أنها تقوم على مفترق الطرق الهندية العامة، بحيث تستطيع أن تطلّ من برجها الشامخ على أنحاء البلاد المختلفة، فتملك ناصيتها --- ولقد قامت في الماضي محاولات عدة لمحو سلطان دلهي، وإضعاف قوتها، بإنشاء عواصم أخرى في مناطق قريبة، فباءت المحاولات بالخسران، وهبّت عوامل الطبيعة تحمي مجدها القديم، فانتصرت العاصمة التاريخية بعد صراع قصير---"[٧].

وكذا تكلّمت عن تغلق اباد وحيدراباد وبيوتها وطريق باريس فيها كما تحدّثت عن معالمها فننقل فيما يلي كلامها عن التاج محل فهي تقول:

"ولشاه جهان قصة خلّدته إلى اليوم، فقد كان له زوجة اسمها "ممتاز"، اشتهرت بجمالها الرائع وحسنها الفريد، فتدله الإمبراطور في حبّها، وفضلها على نسائه الأخريات. وماتت ممتاز في أوج شبابها، فحزن زوجها عليها وشيّد لها مقبرة "تاج محل" بمدينة آجرا، وتعتبر هذه المقبرة أعظم قصور الدنيا، فقد بنيت جدرانها بأثمن أنواع المرمر، وزيّنت بالذهب الخالص، ورصعت بالماسات واللآلئ النادرة؛ وهو عمل جديد في البناء لم يعرف من قبل أو من بعد. ويقال إن منظر القصر في ضوء القمر قد ذهب بلبّ بعض الأوروبيين،فاختبلت عقولهم أمام جماله الساحر"[٨].

ولكن من العجب أن الإنجليز قد نزعوا هذه اللآلئ حينما رجعوا إلى وطنهم هاجرين هذا البلد الجميل بل هذا الطائر من الذهب.

وكذا نطقت أمينة عن حيواناتها ومعادنها ومزارعها فننقل حديثها هذا كما يلي:

---

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٥

[٧] المصدر نفسه، ص ٩٦ وصفحات متتالية

[٨] المصدر نفسه، ص ١٠٨

"وباختلاف المناطق تختلف الحيوانات أيضًا، فهناك الدببة الثلجية، والفيلة الاستوائية، والسائمة على أنواعها؛ فمن البقر وحده يملك الهنود مائة وثمانين مليونًا وهو ثلث بقر العالم أجمع، ومن الغنم والماعز سبعة وثمانين مليونًا، وهو سبع ما في العالم أيضًا.

والسهول الزراعية واسعة يبلغ المزروع منها مائة مليون فدان، ويمكن مضاعفة هذا القدر بوسائل الريّ الحديثة. وخصب التربة الهندية عظيم، ومناطقها المختلفة تصلح لزراعة أهمّ المحصولات، وهي تغلّ في الوقت الحاضر كميات وفيرة من القمح والأرز وقصب السكر والطباق والقطن والشأي.

أما المواد المعدنية فموفورة في الهند، وفي باطن أرضها ما يحتاج إليه سكانها، ويفي بمطالب الصناعة فيها، مهما ارتقت تلك الصناعة واتسعت، بحيث لا يحتاجون معه إلى مزيد؛ ففيها المنجنيز والميكا والفحم والنحاس والبترول والقطران والحديد والمطاط إلى آخره. ويقول الإخصائيون إن باطن الأرض يحوي من الفحم ستين ألف مليون طن، وتقول الإحصائيات إن الهند ثاني دولة في العالم من حيث المنجنيز، وقد بلغ ما استخرج منه عام ١٩٣٨ أربعمائة واثنين وتسعين ألف طن!

والهند لا تفتقر إلى شيء: فيها مائة مليون فدان من الغابات الاستوائية، قال الخبراء الإنجليز إنها تستطيع أن تمدّ البلاد بمائة مليون طن من الخشب كل سنة، فلا ينال ذلك المقدار شيئًا من عزة الغابات، أو يقلّل من كثافتها"[٩].

وهكذا تكلّمت عن ملوكها وسلاطينها وحكّامها وزعمائها البارزة إلا أن معلوماتها خاطفة فيشوبها الوهم فهي تقول عن السلطان أورنجزيب عالمغير:

"وبعد وفاة شاه جهان خرج أورنجزيب يبحث عن أخيه "دارا" ليقتله، ويزيحه من طريقه، فظفر به أخيرًا. وتقول كتب التاريخ إن الأخ القاسي وضع "دارا" على حصان وقد اتجه وجهه إلى الذيل، ليكون هذا دليل الذلة والمهانة، وأمر أن يطوف هكذا في جميع أنحاء المدينة، ثم قتله بعد الطواف شرّ قتلة. فبكى الناس أميرهم المحبوب، وحزنوا عليه عهدًا طويلًا.

وحكم أورنجزيب بلاد الهند حتى بلغ الواحدة والتسعين من عمره، فكان مصدر الرعب والفزع، ورمز الوحشية المنقطعة النظير، حتى عاش ابنه "باهور شاه" أربعين عامًا وهو يرتجف لمجرد رؤية اسم أبيه مخطوطًا على الورق!"[١٠].

وتقول عن جواهر لعل نهرو:

"وجواهر لال نهرو رجل عالي الثقافة؛ قوي الشخصية، حادّ الذكاء، يمتاز عن كثير من زعماء الهندوس بروح متسامح مجدّد كفيل بأن يجعله حاكمًا عادلًا عظيمًا إذا أطلقت يده؛ ولكن يد جواهر لم تطلق إلى الآن، فهو تلميذ غاندي،

---

[٩] المصدر نفسه، ص ١٢٦-١٢٧

[١٠] المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتابعه الأمين؛ وغاندي بالرغم من صفاته الطيبة الكثيرة، متعصب لدينه تعصبًا شديدًا يحول دون تفاهم الفريقين المتخاصمين.

وجواهر زعيم الهندوس الأول؛ فالشعب يعتبر غاندي الآن أبًا روحيًا فقط؛ يستمدّ منه الوحي والبركة. أما السياسة والقيادة فالعيون فيها تتطلع إلى جواهر لال"[11].

وبجانب تعصبه لدينه فقد كان غاندي يخفي في صدره ما لم يكن يظهره للناس، وأما جواهر لعل فهو كان يعاكسه في هذا فهو كان من وراء كل ما أصاب المسلمين من مآسٍ ومجازر بعد استقلال الهند.

وبجانب هؤلاء فهي تحدّثت عن محمد علي[12] وغيره من كبار الهند.

الثناء على الهند والهنود: ومن خلال زيارتها للهند ولقائها مع المسلمين والهندوس شهدت أشياء عديدة من الهند سرّتهم كما جرّبت عاداتهم وتقاليدهم فغمرها السرور. فتقول هي مثنية على الهنود:

"ولا شكّ أن الشعب الهندي مجيد نبيل، له من الصفات العظيمة ما يميّزه، وما يكفل له مستقلًا فريدًا"[13].

وكذا تأثرت الكاتبة بأبنائها وبناتها فهي أطرتها فمثلًا تقول وهي تثني على وجوهها:

"وآذنت الرحلة أخيرًا بالانتهاء، وتهادت الطائرة بعد سفر دام يومين، ثم هبطنا عند منتصف الليل على مطار "كراتشي"، وهي أوّل بلاد الهند في طريقنا. واستقبلتنا وجوه هندية سمراء، تضيئ بالذكاء والكبرياء ---"[14].

وتقول وهي تثني على حريتها بعدما ذكرت مثالًا لها:

"هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة لليقظة السياسية في الهند، وللوعي الاجتماعي الذي كشف الغشاء عن أعين الهنود، فرأوا ما يروه من قبل، وتبيّنوا مواطن الضعف، فساد التذمر، وعمّت الشكوى، وتردّدت بها الألسن، وأفعمت القلوب برغبة جامحة في التحرر، حتى يصفو الجوّ، وتنطلق أيدي المصلحين في وضع المشروعات التي تعالج العلل الحاضرة، وترفع شأن البلاد"[15].

وتقول وهي تثني على غيرة الرجل الهندي:

"والحقيقة أن الهندي ليس مستسلمًا أو ذليلًا بل هو أبيّ جسور ينشد الحرية، ويتوق إليها كغيره من أبناء الشعوب الأخرى، فإن كان قد خضع واستكان، فقد فعل ذلك مضطرًا أمام مشكلات اجتماعية معقدة، شغلت ذهنه عن قضية بلاده"[16].

---

[11] المصدر نفسه، ص ١٤٣-١٤٤

[12] المصدر نفسه، ص ١٤٥

[13] المصدر نفسه، ص ٩٣

[14] المصدر نفسه، ص ١٧

[15] المصدر نفسه، ص ٨٧

[16] المصدر نفسه، ص ٨٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك هي تثني على عادتهم للصبر:

"وعلى رمال "كلفتون" يجلس عشرات من بائعي الأصداف يقصدونه كل يوم مبكرين، وينصرفون عنه وقت غروب الشمس. وهؤلاء الباعة مثل صادق للصبر الهندي العجيب، فهم يأتون كل صباح إلى الشاطئ، ويبسطون على رماله قطعة كبيرة من النسيج الأبيض، يغطونها بآلاف الأصداف بعد صفها في أشكال هندسية دقيقة. ويأخذ الصف منهم معظم ساعات النهار، فإذا انتهوا تكون الشمس على وشك الغروب، فيجمعون ما بذلوا الجهد في تنظيمه، ويودعونه حقائبهم الخشنة، وينصرفون به إلى بيوتهم، ليعودوا في الصباح التالي، ويبدأوا العمل من جديد"[١٧].

وكذا هي أثنت على كرمهم وعطفهم قائلة:

"ومن العدل أن أقول: إن الشعور الطيب الذي غمرني به موظفوا المطار، ما هو في الواقع إلا ظاهرة لما جبل عليه الهنود جميعًا من عطف وكرم على إخوانهم الشرقيين، وبخاصة أبناء العروبة. والعجيب أنهم يعرفون عنا أكثر مما نعرف عنهم"[١٨].

لم تمارس هذا مع الرجال الهنود بل هي أعجبت بنسائها فهي تقول مشيرة إليه:

"وفي الواقع أن نساء الهند ملأن قلبي بالإعجاب، وهن يتوالين على المنصة كل صباح ومساء، فيناقشن أعظم الموضوعات حيوية بحكمة وذكاء وسعة اطلاع؛ فكنت أحسّ في بعض الأحيان أنني أمام عقول جبارة صافية، لا بدّ أن تصل إلى أهدافها عما قريب"[١٩].

نقد على الهند والهنود: من خلال زيارتها للهند مرّت أمينة بالعديد من تقاليد الهند فلم ترضها فقامت بتوجيه النقد إليه فمثلًا هي تقول عن عادة الزواج في الطفولة:

"إن زواج الأطفال كان معروفاً هناك إلى عهد قريب، فكان من حق الوالد أن يزوّج ابنته وهي في السنة الأولى من عمرها لصبي في مثل سنها، ثم يعطيها أهل زوجها، فيحملونها معهم إلى بلدتهم لتنشأ مع قرينها جنبًا إلى جنب، فتعتاد أخلاقه، وتألف عادات أسرته. وكان يحدث في كثير من الحالات أن لا يأتلف الطفلان بل يتنافران منذ بادئ الأمر فتصبح حياتهما حياة شقية لا خلاص منها إلا بالموت، وكان يحدث أيضًا أن يموت الزوج الصغير بعد مرض من أمراض الطفولة، فيتحتم على عروسه وهي ما تزال في المهد أن تعيش أرملة إلى الأبد، وأن تتجرع كأسًا مريرة من الذل لأنها جلبت الشؤم على البيت فمات الابن بعد دخولها فيه"[٢٠].

ولكن زواج الأطفال قد قلّ معدّله الآن.

---

[١٧] المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨

[١٨] المصدر نفسه، ص ١٩

[١٩] المصدر نفسه، ص ٦٣-٦٤

[٢٠] المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالعكس من ذلك فقد منعوا الأرملة عن زواجها فهي تقول: "ومنع زواج الأرملة إجحاف بالمرأة الهندية --- "[٢١].

وتقول كذلك:

"ولكن مشكلة الأرامل لم تحل بعد، فما زال في الهند عدد كبير من "الأرامل البكر" كما يسمّونهن هناك، يعشن عذارى، ويمتن عذارى، مهما بلغ بهن الشباب والجمال"[٢٢].

وهذه وصمة عار على جبين الهند وحتى الآن نشهدها بأعين رؤوسنا.

وبشأن الزواج هي لم ترض عن أداء المهر من قبل البنت فهي تقول:

"ولا تقف آلام الهندوسية عند هذا الحد، بل تتعدّاه إلى تقاليد الزواج، فهي تخطب الرجل، وتمهره مبلغًا من المال يرتفع أن ينخفض تبعًا لارتفاع أو انخفاض مركزه، فلكل رجل ثمن محدّد، قد ينخفض إذا كانت المرأة على نصيب يذكر من الجمال"[٢٣].

ومن هذا الباب يأتي الجهيز وهو عبارة عن أداء أموال جمّة مطلوبة من قبل أسرة الولد في معظم الأحيان وهذا عار على بلد يعمّ فيه فتقول الكاتبة متأسفًا عليه:

"والعادة الشائعة أن يبعث أهل الفتاة رسولًا لخطبة الشاب الذي يختارونه، فتدور المباحثات المالية أولًا، وعليها يتوقف القبول أو الرفض. ويغالي شباب الهندوس في تقدير الصداق مغالاة جعلت من الزواج تجارة رابحة، دفعت ببعض الآباء إلى الانتحار، لعجزهم عن توفير المال اللازم لزواج بناتهم"[٢٤].

ومن خلال احتكاكها بالهندوس إنها انتقدت نيلهم من قدر النساء لاسيما الستي الذي قد ذكرناه في هذا المقال وكذا أنهم متعصبون دينًا فهي تنتقد هذا الجانب منهم قائلة:

"وخدم الفنادق عادة من الهندوس، لأن هذه الطائفة تمثل سواد الشعب. وتقاليدها الدينية تحرم عليها تقبل الطعام أو الشراب من يد لا يعتنق صاحبها هذا الدين، أما الطوائف الأخرى كالمسلمين والمسيحيين والسيخ والبارسي، فلا يدينون بمذهب التفرقة؛ ولا مانع لديهم من أن يخدمهم أيّ كان. وللسبب ذاته أيضًا نجد أن الهندوس لا يقبلون من الخدم في منازلهم إلا من كان هندوسيًا مثلهم، أما خدم المسلمين فخليط من جميع الأديان"[٢٥].

وهذه النفسية لم تنمح حتى الآن فأغلبية الهندوس لا تصبر على أن يعيش المسلمون معهم في البلاد.

وليس هذا فحسب بل هي انتقدت على كثرة البقر وعبادتها من قبل الهندوس فهي تقول:

---

[٢١] المصدر نفسه، ص ٦٩

[٢٢] المصدر نفسه، ص ٧٠

[٢٣] المصدر نفسه، ص ٧١

[٢٤] المصدر نفسه، ص ٧٢

[٢٥] المصدر نفسه، ص ٢٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"وأوّل ما يسترعي النظر في كراتشي وفي غيرها من المدن الهندية، كثرة البقر في الطرقات، وما لها من سلطان على الحياة العامة، فصاحبة الجلالة البقرة الهندية تتمتع بتكريم وتبجيل وحرية لا تتوافر لخير أفراد الشعب، وذلك لأن الهندوس يعبدونها، ويعتبرونها أمّ الله، لأنها تدرّ لبنًا يهب الحياة للناس ومن أجل هذه المنزلة الرفيعة تجول قطعان البقر في الطرقات كما يحلو لها، فلا يجرؤ أحد على إيذائها أو إبعادها عن طريقه. وقد تقتحم الحوانيت في بعض الأحيان، فإن كان صاحب تلك الحوانيت هندوسيًا، تركها تعيث في المكان فسادًا؛ أما إذا كان مسلمًا، وحاول إخراجها قسرًا، قامت معركة دينية حامية بين الطائفتين قد تراق فيها الدماء، وتذهب الأرواح"[٢٦].

ومن هذا الشأن هي تنتقد عبادتهم ومغالاتهم فيها:

"وتقوم الديانة الهندوسية أصلًا على عباد الروح، وتقديسها، ولو كانت لأحقر الحيوانات والحشرات. وتغالي الأقلية المتعصبة في هذا النوع من العبادة، حتى إنهم ليرفضون قتل برغوث أو قملة أو بعوضة، ويتركونها تمتصّ غذاءها من دمائهم، مع علمهم بأنها تحمل ميكروب الطاعون والعيفوس والملاريا الخبيثة!

وللأشجار الكبيرة قدسيتها أيضًا، ولذلك لا يسمح لبستانيّ أن يقطع غصونها أو يشذّ بها، فتنمو على فطرتها، وتتكاثف أغصانها، وتتشابك فروعها مما يعوق المرور في بعض الأحيان.

وأذكر عندما غادرت كراتشي للمرة الثانية في طريقي إلى دلهي، أن ذهبت إلى المطار في سيارة ضخمة من سيارات نقل المسافرين، فوصلنا من الطريق إلى منطقة تشابكت لأغصان أشجارها حتى تعذر على السيارة أن تمرّ بسهولة، واقتضى الحال من السائق أن يضاعف قوة المحرك، لينتزع طريقه بين الغصون وارتفع صوت المحرّك، فكاد يصمّ الآذان، وتلته قرقعة الغصون وهي تتحطم، فانزعج الجالسون، وانبرى أحدهم- وكان أجنبيًا حضر إلى الهند حديثًا- لتأنيب الضابط الهندوسي المرافق لنا على ترك الأشجار متشابكة هكذا، فنظر الضابط إليه بسخرية وقال: تذكر يا سيدي أنك في الهند، حيث يمكنك إذا أردت أن تقتل رجلًا، ثم تسير آمنًا في طريقك؛ ولكنك لن تنجو أبدًا إذا ذبحت بقرة، أو قطعت غصنًا من هذه الأغصان"[٢٧].

ويبدو منها أن الحياة البشرية أحقر من حياة الحيوان والجماد وهذا عجيب بأن الذي سخّر له هذا الكون يعتبر أحقر منه. فتقول أمينة السعيد:

"ويبدو أن الحياة البشرية في الهند أتفه قيمة من حياة الحيوان والأشياء، وكرامة المشاعل والأعلام، فمن أجل هذه الأشياء يتقاتل الإخوان، ويسفك بعضهم دم بعض"[٢٨].

وتتحدث عن طابع الحزن على الهنود كلهم:

---

[٢٦] المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥

[٢٧] المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦

[٢٨] المصدر نفسه، ص ٣٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"ولا أظنّ أنني رأيت مكانًا يرفرف عليه روح حزين مثل هذه البلدة، بل مثل الهند كلها، فالحزن طابع الهند الأوّل، تراه مرتسمًا على كل وجه وكل بنيان وكل طريق؛ وهي ظاهرة عجيبة تسترعي أنظار الغريب، ولاسيما إذا كان مثلي ينتمي إلى شعب مرح يبسم دائمًا حتى للآلام والنكبات!

قد يكون حزن الهند المخيّم وليد قرون متعاقبة من الآلام، وقد يكون طبيعة في الخلق الهندي؛ ولكنه موجود على كل حال، وجذوره متأصلة في المجتمع، وفروعه مختلطة بمواطن الجمال، حتى ليصعب الفصل أو التمييز بينهما"[٢٩].

وقد شهدته أنا في غربي بنغال وبهار بشدة فيبدو أنهم مفطورون على الحزن وسآمة الحياة.

وعندما يحدث هذا فيكثر التسوّل. تقول عن هذا الجانب هذه الكاتبة المصرية:

"كنت أظنّ أن مصر تفوق البلاد الأخرى من حيث عدد المتسوّلين الذين يعيشون فسادًا في مجتمعها، ويتجمّعون في طرقاتها تجمّع الذباب، فيسيئون إلى سمعة بلادنا، ويتركون في ذهن السائح صورًا قبيحة، تظلّ إلى الأبد واضحة، حتى ليصغر أمام وضوحها ما قد يراه ذلك السائح من صور مصرية أخرى، لمظاهر عمرانية طيبة، أو آثارًا تاريخية خالدة.

وكنت وما زلت أعتقد أن آفة مصر الكبرى هؤلاء المتسوّلون، الذين ارتضوا الذلة، ولم يقبلوا عنها بديلًا، لأنها تدرّ عليهم أرباحًا عظيمة، دون جهد، ودون مقاومة مذكورة من الشعب والسلطات. وضاعف عددهم تهاون الحكومات وشجّعهم على المضيّ في طريقهم الممقوت، فانتشروا في المدن انتشار الجراد، ليقتحموا كل مكان حتى بيوت الله، ويضطحدوا العباد بلجاجتهم وإلحاحهم، ويمسكوا بتلابيب الناس فلا خلاص إلا بدفع الفدية وهي القرش!

والعجب أن الكثرة الساحقة من متسوّلينا لا تثير رؤيتهم رحمة أو شفقة، فعلى وجوههم سيماء الرذائل التي ينطوون عليها، وعلى أبدانهم الصحيحة دلائل القوة التي تمكّنهم من العمل الشريف، واكتساب الرزق بوسائل غير التسوّل والاستجداء.

ولكن عدد المتسوّلين المصريين تضاءل في ذهني أمام جيوش إخوانهم الهنود، حتى خيّل إليّ أن مصانع التسوّل الأساسية تقوم في تلك البلاد، وما مصر إلا دولة صغيرة تستورد جزءًا يسيرًا من منتجات هذه المصانع!

وتلفت هذه الظاهرة نظر الغريب هناك، ففي كل طريق أساسي أو فرعي، وفي كل ركن ظاهر أو خفي، يتجمع المتسوّلون الهنود عشرات عشرات، يستجدّون المارة بصلوات ودعوات لا نهاية لها.

ولكن المتسوّلين الهنود يختلفون عن زملائهم المصريين كل الاختلاف، فدلائل البؤس الحقيقي في وجوههم الصفراء الذابلة، وعيونهم التي أعماها الجدري، وأجسادهم الضامرة النحيلة تنطق بالحرمان والجوع والعرى، مما لا يدع مجالًا للشك في أنهم يقاسون شظف العيش، وضيق ذات اليد"[٣٠].

وكذلك هي تتحدث عن سوءة الطرق الهندية وهي عار لن يرى القضاء عليه في المستقبل القريب:

---

[٢٩] المصدر نفسه، ص ٢٣

[٣٠] المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"ومدينة حيدراباد السند موطن أغنى أغنياء الهند، يخرج التجّار الهنود منها، فينتشرون في جميع أنحاء العالم، ويجمعون الملايين من تجارة التحف والحرير، ومع ذلك فمهد الأغنياء هذا مهمل متأخر إلى درجة لم أر لها مثيلًا في المناطق الأخرى: فالطرقات غير معبّدة، مليئة بالأتربة والأحجار، تقوم على جانبيها قنوات مكشوفة لتصريف المخلفات والمياه القذرة، فتنبعث من تلك القنوات روائح كريهة تفسد الجوّ، وتملؤه بأفواج الذباب"[31].

أمينة وقضايا الهند: الهند ومصر بينهما علاقة وطيدة كما أنهما يتشابهان في كثير من الأشياء والتقاليد. وهذه وتلك قد أجبرتا أمينة السعيد على أن تتحدث عن قضايا الهند الراهنة وكيف لها أن تصون نفسها عن الدمار فهي تقول إن الشيئ الأول الذي يمكن أن يقضي على الهند هو الجهل والأمية:

"والشعب الهندي على اختلاف أجناسه، وتعدّد مواهبه، جاهل أميّ، لا يزيد عدد المتعلمين فيه على سبعة في المائة مع حسن الظن. وتعدد الأديان يقسم ذلك الشعب فرقًا وأشياعًا، يهدم بعضها بعضًا، ونار الشقاق بينهم دائمًا متأججة، فتشعل المعارك الطائفية أذهانهم، وتصرفهم عن التفكير في التقدّم والإصلاح، ولذلك تموت المواهب، وتنقلب نعمة تعدّد الأجناس إلى نقمة في بلاد الهند"[32].

وتقول في موضع آخر من رحلتها:

"ولقد أخفقت الجهود في التوفيق بين الطرفين، لأن أوجه الخلاف مرجعها الدين، وليست بنت تقاليد اجتماعية، يمكن القضاء عليها، وتغييرها بسهولة. وأظنّ أن العداء سيبقى في الهند ما بقي الجهل، فالجهل يورث تعصبًا دينيًا، يحول بين المرء وتفهمه روح دينه على حقيقتها، مما يدفعه إلى التعلق بالأغراض دون الجواهر.

ولقد أبدى المسلمون على الرغم من ذلك استعدادهم للتفاهم والتعاون، أو أنهم على الأقل تظاهروا بذلك، وشاركوه في الجهاد أملًا في أن يزيل العمل المشترك عداوة القديم المتأصلة في النفوس"[33].

والواقع أن الهندوس قوم متعصبون لا يفهمون أصول الدين بينما المسلمون ليسوا كذلك. ومن الدلائل على هذا الواقع انتحار العديد من النساء الهندوسيات كما تقول أمينة السعيد:

"وينادي المصلحون في الوقت الحاضر بوجوب زواج الأرملة إن أرادت، ووضع بالفعل قانون يبيح ذلك، ولكن القانون لم يتقرّر العمل به رسميًا إلى الآن، بسبب العقبات التي تقوم في طريقه، واعتراض الرجعيين، ولهم في الهند نفوذ كبير.

والمرأة الهندوسية لا ترث أبدًا، فإن توفي زوجها أو والدها لا تصيب شيئًا من ماله مهما عظم؛ وتضطرّ في مثل هذه الحالة لأن تعيش كلًا على أفراد أسرتها، اللهم إلا إذا كانت متعلمة، وأرادت الاستقلال، فإذ ذاك تقتحم الحياة العملية، وتكتسب رزقها بعرق جبينها.

[31] المصدر نفسه، ص ٤٥-٤٦

[32] المصدر نفسه، ص ١٢٩

[33] المصدر نفسه، ص ١٣٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أجل ذلك تقبل الهندوسيات على التعليم بشغف، فتكون الأمية بينهن أقلّ منها في المسلمات، ولكن نسبة التعليم ما زالت ضئيلة، والمثقفات قليلات، وأكثر النساء يذقن الأمرين من جراء هذا الغبن الاجتماعي الصارخ؛ مما يدفع أرامل كثيرات إلى الانتحار بالسمّ أو النار، فآلام الموت تهون أمام ما ينتظرهن في الحياة!"[٣٤].

ويليه اختلاف الأديان والأفكار الدينية في الهند فهو أيضًا لم يدع أهاليها متحدين ومتفقين فتقول أمينة السعيد مشيرة إليه:

"قد يتبادر إلى الذهن بعد تكرار ذكرى للمسلمين والهندوس أن بلاد الهند لا تحوي غير هاتين الطائفتين، ولكن الواقع غير ذلك، فهناك شيع عدة، وأديان كثيرة يختلف أصحابها في الزيّ واللغة والدين والتقاليد والعادات--- وتتعدّد الأديان أيضًا تعددًا يباعد بين الناس، وينفر بعضهم من بعض، فأكثر سكّان الهند من الهندوس، ويليهم المسلمون فهم مائة مليون أي ربع الشعب، وبين الاثنين ما نعرف من تطاحن وعداء --- ولو أن الهنود جميعًا اقتنعوا بأن الدين رابطة شخصية تصل العبد بربه، لهان الأمر، ولكنهم يدخلونه في السياسة والمجتمع بحيث يتعذر التفاهم، ويستحيل التعاون، ويشيع الخصام والقتال"[٣٥].

والشيء الثاني الذي يواجهه كل جاءٍ وآتٍ أنه يعمّها الفقر فتقول أمينة السعيد مشيرة إلى هذا الجانب:

"وتسعون في المائة من الشعب الهندي يتناولون وجبة واحدة كل يوم، وهي وجبة صغيرة لا تغني ولا تشبع من جوع، ولا تسلح الجسم بمناعة ضدّ الأمراض والأوبئة المنتشرة هناك ولكل هذه الأسباب نجد أن نسبة الوفيات في الطفولة مرتفعة جدًا، ومتوسط عمر الهندي سبعة وعشرون عامة، في حين أنه في مصر ثلاث وثلاثون، ومع ذلك نضج ونستغيث لضآلة هذا المتوسط في بلادنا.

ومن المؤكد أن بلاد الهند غنية، وتربتها خصبة، وغاباتها كثيفة، وثروتها المعدنية كثيرة، فكيف أمكن أن يبلغ الفقر فيها هذه الدرجة؟

ولقد أثارت هذه النقطة عجبي ودهشتي، ودفعتني إلى دراسة شئ قليل عن الحالة الاقتصادرية هناك، فخرّجت من تلك الدراسة القصيرة بنتيجة صادقة وهي: إن مثل الهند مثل شجرة ضخمة من الذهب البراق، ولكن هذه الشجرة السحرية لا تعطي غير ثمار الجوع والموت والحرمان!"[٣٦].

وقضايا أخرى قد تم ذكرها من خلال المباحث الأخرى في المقالة.

تعليقات جميلة: ولو أن الرحلة كلها مليئة بمشاهدات وتعليقات ولكن بعضها أجود من البعض وتجدر بأن نشير إليها ففيما يلي إشارات إلى بعض منها:

---

[٣٤] المصدر نفسه، ص ٧٠-٧١

[٣٥] المصدر نفسه، ص ٣٧-٤٠

[٣٦] المصدر نفسه، ص ١٢٣-١٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الهند بلد يختلف فيه الأديان والمذاهب الفكرية فهي مثل مهد الديانات والأفكار الدينية التي يضادّ بعضها البعض في معظم الأحيان فيعمل أهلها على الديانة الهندوسية التي تضادّ ديانة الإسلام كما يعبد البعض منهم النار بينما الآخر يخالفها وهكذا فصاعدًا حتى يسكنها من لا يؤمن بدين ولا بفكرة دينية ويعتبر نفسه حرًا عن مثل هذه القيود والحدود. فماذا نعمل في هذه الحالة؟ تقول أمينة السعيد معلقةً عليها ودالة على أسوأ الطريق في هذه القضية:

"ولو أن الهنود جميعًا اقتنعوا بأن الدين رابطة شخصية تصل العبد بربه، لهان الأمر، ولكنهم يدخلونه في السياسة والمجتمع بحيث يتعذر التفاهم، ويستحيل التعاون، ويشيع الخصام والقتال، وتكون النتيجة أن تعيش كل طائفة مستقلة بحوانيتها ومطاعمها وأماكن نزهاتها، فلا يتمّ الاختلاط إلا بين طبقة محدودة من المثقفين"[٣٧].

- وأن قسمة طبقات الهندوس هي التي قامت بالتفريق بين إنسان وإنسان، الأمر الذي جرّ أغلبية رجال الطبقة الدنيا إلى اعتناق الإسلام الذي لا يؤمن بهذه الفكرة فهي تعلّق على هذا الوضع القبيح:

"اعتقد أن لبعض الشرائع الهندوسية دخلًا كبيرًا في التفرقة بين الطائفتين. ويقوم الدين الهندوسي على نظام عجيب من تعدّد الطبقات، يبدأ من أعلى بالبراهما أو أشراف الدين، وتليهم طبقة المحاربين، فطبقة التجّار والمزارعين، وتنتهي تلك السلسلة بالمنبوذين أو الأجناس، وهم الطبقة العاملة التي تعرف بالكنّاسين. ولكل طبقة من الميزات والحقوق ما يرفعها عما يليها، اللهم إلا المنبوذين، فلا حقوق لهم ولا ميزات --- ولو اقتصر الأمر على هذا الحدّ لكان محتملًا، ولكن مسئلة المنبوذين تدعو إلى الأسف، فعملهم محدود بحكم النظام الهندوسي، لا يخرج عن كسح الفضلات وكنس الطرقات، وبعض الحرف الدنيا المماثلة. ويعتبر المنبوذ نجسًا لا يصحّ لمسه، وإن حدث اللمس عفوًا استدعى الأمر تطهيرًا يتطلب إجراءات دينية قاسية، منها الاغتسال في الأنهار المقدّسة --- ويعتبر أصحاب العقائد الأخرى منبوذين أيضًا، فالمسلم بالنسبة إليهم نجس، وكذلك المسيحي واليهودي، ولهذا يرفض الهندوسي رفضًا باتًا أن يسمح لمسلم بزيارته، والشرب من مياهه، وشراء الطعام من حانوته ---"[٣٨].

- وأن النزاع بين الهندوس والمسلمين خاصة في الهند مما جرّه السياسة والزعامة فهم أصلًا وطبعًا لا يحبّون أن يقاتل بعضهم البعض بل يودّون أن يعيشوا بالتضامن والتعايش الآمن. تقول أمينة:

"ومصيبة الهند الكبرى في زعمائها، فبالرغم من أهدافهم الطيبة، ومقاصدهم النبيلة، لم يخلقوا للسلم والوفاق، فلقد ولدهم الخلاف والعداء والصراع، وأصبحوا لا يصلحون لغيرها. أما السلام ففي حاجة إلى زعماء آخرين، من أبناء السلام لا أبناء القتال، فنحن نعرف أن القاعد الحربي، قد يسجّل لبلاده نصرًا عالميًا في الحرب، فإذا وضعت الحرب أوزارها، وعاد إلى وطنه، عجز عن إدارة دفة الشئون في عهد السلم الذي لم يخلق له"[٣٩].

وتقول وهي تستدل على قولها بما شهدته من عندها:

---

[٣٧] المصدر نفسه، ص ٣٩-٤٠

[٣٨] المصدر نفسه، ص ١٣٧-١٣٨

[٣٩] المصدر نفسه، ص ١٤٩

"والعجيب أن الهنود إذا خرجوا من بلادهم- وقد فعلوا ذلك خلال سنوات الحرب- نسوا الفروق، وعاشوا معًا في صفاء وصداقة ومحبة متبادلة. وأذكر أنهم كانوا يتوافدون على بيتي، فيجلسون معًا، ويأكلون معًا، ويتبادلون أطيب التحيات والحديث؛ ولكنهم يعودون إلى التقاطع والتشاحن بعودتهم إلى الوطن، وتصيبهم حمّى الانقسام مرة أخرى، فيتفرّقون شيعًا ومذاهب، ويدبّ النفور والعداء، بعد الصداقة والوئام. ومع تعقد المشكلة الهندية، فتلك الظاهرة توحي بإمكان التعاون والصداقة في الهند، ما دام قد أمكن وجودهما خارجها، ولعل الجهل هو سبب الانقسام الأوّل ---[40].

- وأن الهندوس يتعصبون لديانتهم ولا يصبرون على أن يأخذوا شيئًا من إخوانهم المسلمين فهم يفرّقون بين رجل ورجل على أساس الدين والعنصر. تقول أمينة السعيد بعدما شاهدت هذه الحالة في الهند:

"ولا شكّ أن هذه الواقعة تدل دلالة واضحة على أن التعصب يصدر من الهندوس أولًا، ويملي عليهم تصرفات تغضب المسلمين، وتثير كرامتهم، فيردّون تعصبًا بمثله، أو أقوى منه، ويقابلون القطيعة بقطيعة قد تكون أشدّ وأقسى"[41].

- وأن الأغنياء الهنود ينفقون أموالًا فادحة بمناسبات خاصة فهم لا يقدّرون ما هو المهمّ أيّ تقدير بل يضيّعونه بأيّ طريقة كانت. تقول أمينة السعيد وهي تعلّق على تغطية الطعام بالورق الفضي ومن ثم ابتلاعه في الأمعاء:

"والعجب أن بعض الأغنياء الهنود ينفقون المال فيما لا يجدي أو يفيد في نظري، فيمضغون "البان" المحشوة باللؤلؤ المصحون، ويأكلون الفضة والذهب مع الطعام؛ فقد دعيت مرة إلى وليمة كبيرة؛ ورأيت صحون الأرز والمهلبية مغطاة بورق فضي كالذي يستعمل في لف الحلوى، فلما حاولت أن أزيح ذلك الورق، قيل لي إنها صفائح من الفضة الصافية، عليّ أن ألتهمها مع الطعام، ففعلت خضوعًا لتقاليدهم، وإن ارتجف قلبي طيلة الوقت لمجرد التفكير في أن أمعائي تضمّ معدنًا نفيسًا كنت أتمنّى لو قبضت عليه بيدي!"[42].

وتمضي قائلةً بمثال آخر:

"وبينما تجد أحد زعماء الهنود يوزن بالماس، إذ بنا نجد آخر إذا رزق ابنًا أو حفيدًا وضعه في مهد صغير في البهو الرسمي للقصر، ثم يدعو أهل مقاطعته لمشاهدته، فيلبّون جميعًا الدعوة، ويضع كل منهم عند مروره بالمهد عملة ذهبية، مع أن هذا الرجل أغنى أغنياء العالم، وليس في حاجة إلى المزيد من أتباعه العراة الجياع"[43].

ثم تعلّق عليه أروع تعليق:

"هذا هو حال أغنياء الهنود وكبار موظفيهم وسواد الشعب تفتك به المسغبة، وخمسة وسبعون في المائة من الهنود لا يستر أجسامهم شيئ غير قطعة صغيرة من النسيج البالي حول خصورهم، والعمال والمزارعون يقاسون ألوان الحرمان، لضآلة أجورهم فطبقة الكناسين أي المنبوذين، رجالًا ونساءً، يتقاضى الواحد منهم روبية في

[40] المصدر نفسه، ص ٤٠

[41] المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤

[42] المصدر نفسه، ص ١٢٢

[43] المصدر نفسه، ص ١٢٢-١٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشهر أي ثمانية قروش! أما أجر العامل الزراعي، فثلاث أنات أي تسعة مليمات كل يوم،مع غلاء الحياة الحاضرة!"[٤٤].

وقد مضى ذكر تعليقاتها النقدية حين تناولنا بالإشارة انتقاداتها وانطباعاتها فليراجع ذلك المبحث.

المسلمون في الهند: وقد أشارت أمينة في رحلتها إلى أوضاع المسلمين في الهند فمثلًا أنها تقول إن المسلمين قد اتبعوا التقاليد السائدة في الهند لاحتكاكهم مع إخوانهم الهندوس:

"أما الهندية المسلمة فقد منحها الدين حقوقًا كثيرة، ولكنها لا تستفيد منها؛ فبحكم الجيرة والحياة المشتركة اقتبس مسلمو الهند بعض العادات الهندوسية، فهم مثلًا لا يورثون المرأة عملًا بقانون "التقاليد" فإذا التجأت إلى المحاكم تطلب نصيبها، لا تجد من يعير قضيتها اهتمامًا، لأن قانون التقاليد قائم معترف به رسميًا في البلاد.

وقد حدث أخيرًا بعض التعديل، فأعطى المسلم حق اختيار القانون الذي يطبق على ورثته بعد وفاته، فإن أوصى كتابة بقانون الشريعة ورثت المرأة طبقًا لتعاليم الدين، وإن لم يوص وهو ما يحدث غالبًا- طبق قانون "التقاليد"، ولا فائدة بعد ذلك من الجدال والمقاضاة.

ويدلّ هذا التصرف على أن مسلمي الهند لا يفهمون روح دينهم الحق، وإلا لنفذوا تعاليمه الجوهرية، وحقّقوا العدالة الإسلامية التي هي في نظر الحق والإسلام أهمّ من الاقتصار على أداء فريضة الصلاة، وصيام شهر رمضان"[٤٥].

وتقول عن سوء حال المسلمين والسبب وراءه:

"وفي الواقع أن حالة المسلمين في الهند أثارت في نفسي كثيرًا من التأملات، وأعادت إلى الذهن ذكريات بلاد أخرى شاهدتها، فحزنت لتأخر عامة الشعوب الإسلامية، وتقهقرها في ميدان المدنية والتقدم.

وعندي أن جوهر العلة في ذلك جهل المسلمين بحقيقة روح دينهم، وإساءة تطبيق تعاليمه، بإهمال شأن الأوطان، وحرمان المرأة من العلم، وتقييدها بالحجاب وغيره من الخزعبلات. والنتيجة أن تأخر المسلمون في موكب الحضارة، واحتلوا منه مكان الذيل، فأساءوا إلى أنفسهم، وجلبوا الاتهامات لدينهم ظلمًا، فنظر العالم المتمدن إلينا ساخرًا وقال: إننا متأخرون لأننا مسلمون! وديننا المجيد بريئ من كل ذلك"[٤٦].

وتقول في موضع آخر من رحلتها وهي تشير إلى أن الجهل هو الذي خلّف المسلمين في كافة مجالات الحياة:

"--- وانتشرت المدارس الإنجليزية في أنحاء الهند، فثارت كرامة السادة المسلمين، وقاطعوا دور العلم التي افتتحها المستعمر أما الهندوس فقد أقبلوا عليها، ودخلوا أفواجًا: أولًا بدافع الرغبة في رفع مستواهم الثقافي، ليصل إلى مستوى المسلمين، وثانيًا لإرضاء السيد الجديد الذي يحتمون به، ويتعلقون بأهدابه.

---

[٤٤] المصدر نفسه، ص ١٢٣

[٤٥] المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤

[٤٦] المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومرّت الأجيال فأصاب الهندوس هدفهم، فتعلموا وتثقفوا، واضمحلّ شأن المسلمين الثقافي، وصارت نسبة التعليم فيهم أقل منها في الهندوس بكثير"[٤٧].

فالعلم عند الكاتبة هو السبب الرئيسي لازدهار قوم، وفقده هو الدافع الرئيسي وراء تخلفهم.

أمينة وقضايا النساء: من عجيب فطرة النسوة أنهن يتعصبّن لجنسهن فانظر إلى أمينة السعيد كيف تذكر حينما ترى امرأة فيما بين الرجال:

"وتفرّقنا في مقصف المطار، وانتحيت جانبًا أرتشف فيه قدحًا من القهوة، وأتأمّل منه جماعة المسافرين. لم أجد بينهم غير امرأة واحدة تصحب طفلة جميلة لا تزيد سنها على خمس سنوات؛ ورأيت في وجه هذه المرأة مزيجًا من التفاؤل والوجوم، فهي تارة باسمة تنظر إلى ساعتها، كأنها تستحث الوقت على الإسراع، وتارة أخرى جامدة العينين، بعيدة النظرات، تحاول أن تخترق حجب مستقبل لا تطمئن إليه ---"[٤٨].

وعلى كل حال فهي ترى تثني على نساء الهند وهي تقول:

"وفي الواقع أن نساء الهند ملأن قلبي بالإعجاب، وهن يتوالين على المنصة كل صباح ومساء، فيناقشن أعظم الموضوعات حيوية بحكمة وذكاء وسعة اطلاع؛ فكنت أحسّ في بعض الأحيان أنني أمام عقول جبارة صافية، لا بدّ أن تصل إلى أهدافها عما قريب"[٤٩].

وتقول وهي تفضّلهن على الرجال:

"والتعاون مع المرأة الهندية المتعلمة يأتي بالخير العميم، ولكننا معشر النساء المصريات لا نستطيع أن نتخذ خطوة كهذه في الوقت الحاضر، فعلى الرغم من أنني حملت رسالة كتابية حارة، لرئيسة الاتحاد المصري، تناشدها فيها زعيمات الهند تكوين جبهة منا ومنهن، غير أن الخلاف الطائفي القائم هناك يحول بيننا وبين الانحياز لأحد الفريقين ضد الآخر ---"[٥٠].

وبالرغم من ذلك تجد أن المرأة الهندية تعاني من أنواع الظلم فهي تقول:

"--- ولكنني وجدت غيرها في الهند، فالمرأة المتعلمة هناك تقوم بواجبها الكامل نحو بلادها، وتسهم في بناء صرح وطنها، وتأخذ بيد المجتمع لتعينه على السير قدمًا، مع أنها محرومة من كثير من الحقوق التي تتمتع بها أختها في البلاد الأخرى، فالمجتمع الهندي جشع إذًا لأنه يأخذ دائمًا ولا يعطي شيئًا مقابل ما يأخذه"[٥١].

ليس هذا فحسب بل الديانة الهندوسية أيضًا تظلم على المرأة فهي تقول:

---

[٤٧] المصدر نفسه، ص ١٣٤

[٤٨] المصدر نفسه، ص ٨

[٤٩] المصدر نفسه، ص ٦٣-٦٤

[٥٠] المصدر نفسه، ص ٦٦

[٥١] المصدر نفسه، ص ٦٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"والديانة الهندوسية لا تعترف بمكانة النساء، ولا تقرّ لهن في المجتمع مقامًا جليلًا، وتعتبر الرجل إله المرأة الذي حقّ عليها عبادته، واحتمال قسوته دون شكوى أو تذمر، فهي ظلّه، ولا يصحّ للظل أن يسمو إلى مكانة الأصل"[٥٢].

وتمضي قائلة عن الستي أشنع صورة للظلم:

"ومن أجل ذلك كانت الزوجة الهندوسية في الماضي تحرق يوم وفاة زوجها وتدفن معه؛ فتقبل على "المحرقة" التي اجتمع حولها الأقارب والأصدقاء وتقتحم نيرانها باسمة، وذلك دليل الرضا والقبول، فإن تراجعت حلّ العار بأسرتها، فتنبذ لتعيش ما تبقى لها من الحياة طريدة شريدة"[٥٣].

وتقول وهي يسرّها أن المرأة الهندية تتمتع من حق التصويت:

"--- ولكن الهندية مع حرمانها من ذلك، تتمتع بحق التصويت والانتخاب، وهو تاج الحقوق الذي لا تناله المرأة عادة حتى تستكمل مطالبها الحيوية الأخرى"[٥٤].

وهي تمضي قائلة عن مخالفة المرأة الهندية زوجها في هذا الشأن:

"وقد قابلت سيدات أعطين أصواتهن في الانتخابات من يخالفون أزواجهن في الرأي والمبدأ، فضربن بذلك مثلًا أعلى في فصل السياسة والصالح العام، عن العلاقات الزوجية وصلات القربى والرحم"[٥٥].

وبجانب الدفاع عن النساء والثناء عليهن فقد انتقدت أمينة السعيد الصاري الذي تلبسه المرأة الهندية والذي يعرقل في مشيها والعمل في الميادين والأسواق فهي تقول:

"ولم يكن لتوضيحي أثر كبير في إقناعهم، فكانوا يهزّون رءوسهم أسفًا، ويقترحون على أن أقوم بدعاية واسعة في بلادي، فأبشر بزيّ الصاري، وأدعو المصريات لارتدائه. ولا أظنّ أنني سأقوم بتلك الدعاية، فالصاري على جماله ثوب غير عملي، لا يناسب امرأة تقتحم الحياة العامة وتشترك فيها، فهذه الطبقات الحريرية الملتفة حول الجسد حتى أخمص القدمين تعوق الحركة، وتضطرّ صاحبتها إلى البطء والحذر، ونحن الآن في زمن السرعة والسبق، وعلى الواحدة منا أن تشقّ طريقها في الشوارع والسيارات العامة وعربات الترام، مما يفسد الصاري، ويقلّب نظامه رأسًا على عقب"[٥٦].

أوهام أمينة: ولعل أمينة السعيد قد نسيت بعض الأشياء خلال نقدها على الهند وأهاليها من الهندوس والمسلمين. فنشير إلى طرف منها عسى أن يتنبّه القرّاء عليها:

- **الحجاب:** ترى أمينة السعيد أن الحجاب شيء لم يوجب الإسلام على المرأة بل هو مما ألزمته على نفسه وهو يخلق العرقلة في سبيل رقيّها. فتقول:

---

[٥٢] المصدر نفسه، ص ٦٨-٦٩

[٥٣] المصدر نفسه، ص ٦٩

[٥٤] المصدر نفسه، ص ٨٢

[٥٥] المصدر نفسه، ص ٨٢

[٥٦] المصدر نفسه، ص ٥٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"ويقف الحجاب أو "اليردا" عقبة كئودًا في طريق تقدّم الهندية المسلمة، وهو حجاب عجيب، يلتف حول الجسد، ويغطيه من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. وأمام العينين فتحتان صغيرتان، تغطيهما طبقة من النسيج الشفاف، لا يكاد البصر يتبيّن من خلالهما شيئًا"[٥٧].

فلعلّ الكاتبة المصرية التي تؤمن بالتحرر عن القيود لا تعرف الإسلام حقًا فالحجاب في أي صورة كان مما أصرّه الإسلام على أتباعه والحق أن هذا ليس بدعة أحدثها الإسلام بل مما عرفه العرب منذ جاهليتهم وقد كان عامًا لدى نساء أشرافهم. وقد جاء في التاريخ أن قبيلة حمير كانوا يدعون أنفسهم بالملثمين وهل هي لم تقرأ الأبيات التالية:

يقول الربيع بن زياد العبسي وهو شاعر جاهلي في رثاء مالك بن زهير:

من كان مسرورًا بمقتل مالك　　فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرًا يندبنه　　يلطمن أوجههن بالأسحار

قد كنّ يخبأن الوجوه تسترًا　　فاليوم حين برزن للنظّار

قال العلامة التبريزي في شرح "تسترًا" أي عفة وحياء.

ويقول عمرو بن معديكرب الزبيدي وهو يذكر حادثًا شديدًا للحرب:

وبدت لميس كأنهـا　　بدر السماء إذا تبدّا

ولو أنّ عمرو بن معديكرب شاعر مخضرمي ولكنّ بيته هذا يتعلّق بالجاهلية.

ويقول شاعر جاهلي يسمّى "سيرة بن عمر القفعسي" وهو يهزأ بأعداءه:

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها　　يخلن إماءً والإماء حراير

والنابغة الذبياني الذي هو أحد فحول شعراء الجاهلية كان عزيزًا لدى النعمان بن المنذر ومقبولًا في بلاطه فذات مرة زار النعمان فاتفق أنّ زوجة النعمان المسمّاة بـ"متجردة" كانت جالسة عنده ودخله النابغة بدون إجازة فقامت الزوجة فورًا وسقط النصيف بدون وعي فسترت متجردة وجهها بيدها فأعجب النابغة بهذا الأسلوب وكتب قصيدة على ذلك، يشير فيها إلى ذلك الواقع قائلًا:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه　　فتناولته واتقتنا باليـــــــــد

ويقول شاعر آخر وهو عوف ذاكرًا خروج النساء إلى القدور لشدة الجوع:

وكانوا قعودًا حولها يرقبونها　　وكانت فتاة الحيّ ممن ينيرها

مبرزة لا يجعل الستر دونها　　إذا خمد النيران لاح بشيرها

[٥٧] المصدر نفسه، ص ٧٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهل هي لم تقرأ كلمات "درع" و"أتب" و"قرقل" و"صدار" و"مجول" و"شوذر" و"خميعل"؟ وهل هي لم تدرس شرح العيني لقوله تعالى: "وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ"[٥٨].

قال العيني: وذلك لأنّ جيوبهنّ كانت واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكنّ ليدلن الخمر من ورائهنّ فتبقى مكشوفة فأمرن بأنْ يدلنها من قدّامهن حتى يغطينها".

وكذا ما جاء في شرح قوله تعالى: "يآ أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن"[٥٩].

"كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طريق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإن كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن فإذا رأوا المرءة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها وإذا رأوا المرءة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها".

وكل هذه تدل على أن الحجاب كان عامًا في المجتمع العربي الجاهلي ومن ثم أمر الإسلام باختياره.

- **شيوع الحجاب في المجتمع الهندوسي:** وكذا أخطأت أمينة في أمر شيوع الحجاب في المجتمع الهندوسي فصدّقت ما شاع من أن السلاطين المسلمين كانوا يأمرون بالحضور كل عذراء هندوسية جميلة عثروا عليها، فهي تقول: "ولقد لاحظت أن بعض القرويات الهندوسيات يتحجبن بـ"البردا" أيضًا، فعجبت لأن دينهن لا يفرض ذلك فلما سألت عن السبب قيل لي إنهن اقتبسنه من المسلمات، فأصبح عادة متبعة بين بعض الأسر القروية. ويرجع السبب في اقتباسه إلى الأمراء الذين حكموا المقاطعات في قديم الزمان؛ وكان بعض هؤلاء شهوانيًا، يعيش من أجل الملاذ، فإذا رأى أحدهم وجهًا جميلًا أمر بإحضار صاحبته إلى القصر ولو كانت متزوّجة. وتكرّرت المآسي، وتعاظم البلاء، فحجب هندوس تلك المقاطعات نسائهم، لتعجز عين الحاكم الشرير عن تمييز الوجه الجميل من القبيح! وعلى مرّ الأجيال زال خطر الأمراء من هذه الناحية، ولكن الحجاب أصبح عادة متبعة لدى بعض القرويين من تلك الطائفة"[٦٠].

والحال أن الحجاب كان عامًا في أشراف الهندوس كذلك وحتى الآن نرى نساء أشراف الهندوس في القرى أنهن يرتدين بالحجاب كلما خرجن من الدار. ولو كان الأمر كما ذكرت أمينة لما نزل هذا البلاء مع أفراد طائفة واحدة بل نزل مع أفراد كل طائفة هندوسية.

- **فكرة قسمة الهند:** وقد شاع حتى الآن أن من قام بقسمة الهند إلى الباكستان والهند هو محمد إقبال فهو الذي ضعّف البلاد بحيث أن أدلى برأي قسمتها إلى بلدين ومن ثم إلى ثلاثة بلاد ولكن هذه الدعاية قد ثبتت باطلة بأن تم الكشف عن الرجل الذي كان وراء هذه الفكرة الباطلة بل هذه المؤامرة وهو جواهر لعل نهرو الذي كان تلميذ غاندي، وقعت أمينة في نفس الخطأ فعزت فكرة قسمة البلاد إلى المسلمين فهي تقول:

"--- وفكّر المسلمون في موقفهم جيدًا، فوجدوا أن الخلاف بينهم وبين الهندوس واسع جوهري، فهم يختلفون في الجنس والدين واللغة والزي والعادات والتفكير والطعام؛ فعادوا إلى الفكرة القديمة التي نادى بها شاعر الهند

[٥٨] سورة النور: ٣١

[٥٩] سورة الأحزاب: ٢٨

[٦٠] مشاهدات في الهند، ص ٧٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"محمد إقبال"، وهي فكرة تقسيم الهند قسمين، يكون أحدهما من المناطق الإسلامية، ويسمّى دولة "باكستان". ونلاحظ أن كل حرف من هذه الكلمة مأخوذ من اسم مقاطعة من المقاطعات الإسلامية، وهي البنجاب، وكشمير، والسند، ومقاطعة الشمال الغربي، والبنغال، وبلوخستان!"[٦١].

- **تعريب الأسماء العربية:** والآن هذه عدوى أن المترجم العربي يحاول أن يعرّب الأسماء، حين الترجمة العربية، عن طريق الإنجليزية فمثلاً كلمة "نَوَلْكِشُوْرْ" عندما يريد المترجم العربي بتعريبها فأولًا يكتبها بالإنجليزية أي Naval Kishore ثم يقوم بتعريبها أي نافال كيشور. وهذه العدوى لم تلفت منها أمينة نفسها فهي غالت في تعريب الأسماء حتى عرّبت الأسماء العربية والفارسية عن طريق الإنجليزية فنذكر فيما يلي بعض الكلمات التي قامت بتعريبها ومن ثم سقطت في الخطأ:

الاسم بالإنكليزية	تعريبه من قبل أمينة	أصله	التعريب الصحيح
Beghum	بيجام	"بيگم" كلمة فارسية	فالصواب "بيجم/بيغم"
Raziyah	رضية، ص ١٠٠	"رضيّة" كلمة عربية	فالصواب "رضية"
Altutmish	الطمش، ص ١٠٠	"التمش" كلمة تركية	فالصواب "التمش"
Tughlaq	محمد توجلاك، ص ١٠٤	"تغلق" كلمة تركية	فالصواب "تغلق"
Divan-i-Khas	ديوان ايقاس، ص ١٠٧	"خاص" كلمة عربية	فالصواب "ديوانِ خاص"
Diva-i-Ām	ديوان إيام، ص ١٠٩	"عام" كلمة عربية	فالصواب "ديوانِ عام"
Bahadur Shah	باهور شاه، ص ١١١	"بهادر شاه" إحداهما هندية والأخرى فارسية	فالصواب "بهادر شاه"
Shah-e-Alam	علم شاه، ص ١١٢	"شاه عالم" إحداهما فارسية والأخرى عربية	فالصواب "شاه عالم"
Maratha	المهراتا، ص ١١٢	"المراثا" كلمة هندية	فالصواب "المراثا"
Jawahirlal Nehru	جواهر لال نهرو، ص ١٤٣	"لعل" كلمة عربية	فالصواب "جواهِر لعل نهرو"
Shimla	سملا، ص ١٤٨	"شملة" كلمة أردوية	فالصواب "شملة"

هذا في جانب وفي جانب آخر إنها حاولت أن ترجع الكلمة إلى أصلها فضبطتها كما هي بتلك اللغة فمثلًا كتبت "پاكستان"[٦٢] و"چپاتي"[٦٣] وپردا"[٦٤] وغيرها من الكلمات الأجنبية.

---

[٦١] المصدر نفسه، ص ١٤١-١٤٢

[٦٢] المصدر نفسه، ص ١٣

[٦٣] المصدر نفسه، ص ٤٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موازنة بين بلدها والهند: وقد قامت الكاتبة بالموازنة بين الهند وبين بلدها مصر في كثير من الموضوعات والشئون فنشير، فيما يلي، إلى طرف منها:

- أن الفنادق التي هي ذات الدرجة الأولى ليست بأجمل وأنظف مما يوجد في مصر والسبب وراء هذا أن مصر لها علاقة مباشرة مع البلاد النامية بينما الهند لا تتمتع من مثل هذه التسهيلات فهي تقول:

"وأعتقد- إن كان لي أن أحكم بما رأيته- أن فنادق الدرجة الأولى في بلاد الهند لا يمكن أن تصل إلى مستوى مثيلاتها في مصر، من حيث الأناقة والاستعداد والخدمة وجمال الرياش. وليس معنى هذا أن الفنادق الهندية قذرة مثلًا، كلا. فهي على العكس من ذلك نظيفة ومنظمة؛ ولكن الملحقات كالحمامات والأدوات الصحية فيها ليست على ما ينبغي أن تكون. وقد يرجع تفوقنا في هذه الناحية إلى وقوع مصر في ملتقى الطريق بين الغرب والشرق، وقربها الشديد من أوروبا، وإقبال السائحين عليها أفواجًا من أنحاء العالم، مما يقتضي توفير سبل الراحة والرفاهية لهم. ولا شك أن ازدحام المدن الهندية خلال سنوات الحرب، وازدياد الإقبال على الفنادق، وتعذر بناء الجديد منها، قد خفّض مستوى هذه الأماكن العامة عما كانت عليه وقت السلم"[٦٥].

- وأن الطريقة التي يستخدمها الهنود في طبخ الأرز أجمل وأجذب مما لأهالي مصر فهي تقول وتثني على الهند:

"--- ويسير النظام في الغداء والعشاء على الطريقة المتبعة هناك، فتقدّم إلى الآكلين ألوان لا عداد لها، قوامها الأرز، و"الكاري" وهو اللحم المطهي بالتوابل اللاذعة، ثم الخضراوات المختلفة، والفطائر المسلحة، واللبن المخثر المجلى بالسكر، والحلوى على أنواعها. والطريف أنهم يطهون الأرز كما نفعل نحن، ولكنهم يقسمونه على أوانٍ مختلفة، ويصبغون أرز كل آنية منها بلون، بعد ذلك يخلطونه في الصحون، فتبدو تلك الصحون جميلة الشكل وهي مليئة بالأرز الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض"[٦٦].

- وأن الزي الذي تلتزم به أمينة أيسر للمرأة من الصاري التي التزمت به المرأة الهندية فهي تقول موازنة بينهما:

"وكان لظهوري بالزي الأوربي رنة كبيرة من الدهشة في الهند، وسألني الناس تباعًا عما حدث لمصر، حتى تترك زيّها الشعبي، وتتشبه بالغرب، فاضطررت عشرات المرات إلى توضيح هذه المسألة، وأفهمتهم أنه لم يكن للمصريين ملبس خاص، وثيابهم التي عرفوها قرنًا بعد قرن مقتبسة من غيرهم، بحكم العناصر المختلفة التي توالت على البلاد، وبحكم موضع مصر الدولي!

ولم يكن لتوضيحي أثر كبير في إقناعهم، فكانوا يهزّون رءوسهم أسفًا، ويقترحون على أن أقوم بدعاية واسعة في بلادي، فأبشر بزيّ الصاري، وأدعو المصريات لارتدائه. ولا أظنّ أنني سأقوم بتلك الدعاية، فالصاري على جماله ثوب غير عملي، لا يناسب امرأة تقتحم الحياة العامة وتشترك فيها"[٦٧].

- وأن المرأة الهندية أحكم من الرجل الهندي وأن التعاون معها يعود بالخير الكثير وأن المرأة المصرية لا تتمتع من مثل هذه التسهيلات فتقول أمينة موازنة بينهما:

---

[٦٤] المصدر نفسه، ص ٧٤

[٦٥] المصدر نفسه، ص ٢٩-٣٠

[٦٦] المصدر نفسه، ص ٤٩

[٦٧] المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"والتعاون مع المرأة الهندية المتعلمة يأتي بالخير العميم، ولكننا معشر النساء المصريات لا نستطيع أن نتخذ خطوة كهذه في الوقت الحاضر، فعلى الرغم من أنني حملت رسالة كتابية حارة، لرئيسة الاتحاد المصري، تناشدها فيها زعيمات الهند تكوين جبهة منا ومنهن، غير أن الخلاف الطائفي القائم هناك يحول بيننا وبين الانحياز لأحد الفريقين ضد الآخر. وإلى أن يتصافى المسلمون والهندوس لن نقبل بحال من الأحوال تشكيل الجبهة المنشودة، حتى لا يتفاقم العداء، فتدخل في بلادنا في الخصومة القائمة"[٦٨].

- وأن الفقراء المتسوّلين في الهند يختلفون عن إخوانهم في الوظيفة في مصر فهي توازن بينهما كما يلي:

"والعجب أن الكثرة الساحقة من متسوّلينا لا تثير رؤيتهم رحمة أو شفقة، فعلى وجوههم سيماء الرذائل التي ينطوون عليها، وعلى أبدانهم الصحيحة دلائل القوة التي تمكّنهم من العمل الشريف، واكتساب الرزق بوسائل غير التسوّل والاستجداء.

ولكن عدد المتسوّلين المصريين تضاءل في ذهني أمام جيوش إخوانهم الهنود، حتى خيّل إليّ أن مصانع التسوّل الأساسية تقوم في تلك البلاد، وما مصر إلا دولة صغيرة تستورد جزءًا يسيرًا من منتجات هذه المصانع!

وتلفت هذه الظاهرة نظر الغريب هناك، ففي كل طريق أساسي أو فرعي، وفي كل ركن ظاهر أو خفي، يتجمع المتسوّلون الهنود عشرات عشرات، يستجدّون المارّة بصلوات ودعوات لا نهاية لها.

ولكن المتسوّلين الهنود يختلفون عن زملائهم المصريين كل الاختلاف، فدلائل البؤس الحقيقي في وجوههم الصفراء الذابلة، وعيونهم التي أعماها الجدرى، وأجسادهم الضامرة النحيلة تنطق بالحرمان والجوع والعرى، مما لا يدع مجالًا للشك في أنهم يقاسون شظف العيش، وضيق ذات اليد"[٦٩].

أدبية هذه الرحلة: عندما نقرأ هذه الرحلة نجدها مختلفة عن رحلة نوال السعداوي التي لم نجد فيها صبغة أدبية وبالرغم من تلك أنها رحلة يغلبها اللون الأدبي فهي مليئة بالتعابير الفصيحة وكثيرًا ما هي تأخذ التعابير من القرآن وكلام العرب العرباء. ويبدو أنها عالمة للقرآن والحديث وكلام العرب القحّ. ننقل فيما يلي بعض القطع الصغيرة لتمتيع القرّاء بلونها الأدبي. فتبتدئ الرحلة بما يلي:

"كان الهدوء شاملًا، والليل باردًا، وهواء الشتاء القارس ينفح الوجود؛ والقاهرة بنت المرح والنور تنام في ظلام دامس لا يخفّف من رهبته غير التماع بعض النجوم الساهرة، وهي تطلّ بين آونة وأخرى، فتلقي علينا من السماء الملبدة بالغيوم بسمة متألقة. وتسلّلت بنا سيارة المطار في تهادٍ وبدء كأنها تشفق أن يزعج صوت عجلاتها الضخمة هذا السحر المصري العجيب"[٧٠].

وتقول عن الصمت الذي لزم كل مسافر:

---

[٦٨] المصدر نفسه، ص ٦٦

[٦٩] المصدر نفسه، ص ١١٦-١١٧

[٧٠] المصدر نفسه، ص ٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"وثقل هذا الصمت على ضابط إنجليزي شابّ، فانبرى للحديث عسى أن يحطمه، ولم يكن الحديث مرغوبًا في هذه اللحظة، فلم يجد بيننا مشجّعًا أو مجيبًا، فانخفض صوته تدريجًا، وماتت الكلمات على شفتيه، وأطبق السكون مرة أخرى، ولم نعد نسمع غير حفيف عجلات السيارة، وهي تتقدم بنا حثيثًا نحو المطار"[٧١].

وتقول والطائرة تحلّق بها في الجوّ.:

"وحلّقت بنا سفينة الهواء، وارتفعت فوق الغمام، وراحت تشق طريقها في الظلام، والكل على سابق حاله: صامت مكتئب، يستعرض الماضي، ويتكهن بالمستقبل، حتى تنفس الفجر، وتدافعت جيوش النهار زاحفة وراء طبقات الظلام الهاربة، واصطبغ الأفق بدماء الشمس الأرجوانية، فدبّت الحركة بيننا، وارتفعت الرءوس المطرقة، وأشرقت الوجوه الواجمة، وغاب الماضي بذكرياته، ولم يعد أمامنا غير مستقبل كله أمل وابتسام، وكان انقلابًا عجيبًا وإن كان طبيعيًا، فالليل مبعث التأمل والتفكير، وفي ظلامه الدامس تكتئب النفوس، ويشيع التشاؤم، فما أحلى النور، وما أجمل النهار!"[٧٢].

وتقول وهي تصوّر قصر أسرة هارون الشهيرة:

"ويتوج هذا الحيّ قصر منيف لأسرة هارون الشهيرة، ولقد بني هذا القصر على الطراز الهندي، فهو عظيم الاتساع، كثير الغرف، ذو أجنحة مختلفة، ليعيش فيها الأبناء بعد الزواج كما هي العادة المتبعة هناك. وتحيط به من جميع الجهات شرفات كبيرة أقيمت على أعمدة بيضاء شاهقة. وأرض القصر وجدرانه وسقفه من المرمر الرائع الذي يبعث الرطوبة خلال شهور الصيف القائظة. والأرض المرمرية تغطّيها أثمن السجاجيد العجمية، والأرائك والمقاعد المنخفضة مكسوة بالدمقس المطرز بالفضة والذهب، والموائد مليئة بالتحف النادرة. وبالقصر قاعتان للطعام كاملتا العدة والاستعداد: إحداهما للولائم وهي تسع مائة شخص، والثانية للاستعمال اليومي وتسع ثلاثين"[٧٣].

وتقول وهي تصوّر ما تركته غارة تيمور في دلهي:

"وتركت غارة تيمور في دلهي آثارًا لا تنسى، فعلى الرغم من بقاء العرش، ذهبت هيبته، وأصبح عرشًا مزلزلًا خاويًا: تحيط به الفاقة، يخيّمه العوز، وتتردّد في جنباته آهات الأهالي، وقد كاد يهلكهم الجوع والفقر. وبقي الملك "محمد توجلاك" على العرش يأتمر بأمر تيمور، ويرتجف جزعًا لذكرى هذا الأعرج، فيدفعه الجزع إلى تنفيذ أوامر المغير، وتلبية رغباته"[٧٤].

وبجانب هذه اللغة الفصحى فقد عثرنا على زلات نحوية في كتاباتها فمثلًا "فحرمت وأولادي رؤية بعضنا بعضًا"[٧٥] (الصواب: فحرمت أنا وأولادي ---) و"كيف رضوا أن يجتمعوا مسلمين ونصارى وهندوس وبارسي وسيخ حول ---"[٧٦]

---

[٧١] المصدر نفسه، ص ٨

[٧٢] المصدر نفسه، ص ١٤-١٥

[٧٣] المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٥

[٧٤] المصدر نفسه، ص ١٠٤

[٧٥] المصدر نفسه، ص ١٠

[٧٦] المصدر نفسه، ص ١٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(الصواب: --- وهندوسًا وبارسيًا وسيخًا ---) و"فتقدّم مني مسرعًا[٧٧]" (الصواب: فتقدّم إليّ مسرعًا) و"لينتزع طريقه بين الغصون[٧٨]" (الصواب: ليخترق طريقه/يشق طريقه ---) و"يدخلون إليها حفاة[٧٩]" (الصواب: يدخلونها/يدخلون فيها ---) و"يعاني نساء الأنجلو إنديان ---[٨٠]" (الصواب: تعاني نساء ---) و"فهناك من هذه المعاهد سبع وعشرون ألفًا وخمسمائة ---[٨١]" (الصواب: سبعة وعشرون ألفًا ---) و"اللغة الإيرانية[٨٢]" (الصواب: الفارسية) و"فلا حقوق لهم ولا ميزات[٨٣]" (الصواب: فلا حق لهم ولا ميزة) ولكن هذه الزلات لا تزن شيئًا دون تلك الأدبية التي نشعر بها في كل صفحة من صفحاتها.

الختام: وبالجملة فقد حاولت أمينة من خلال رحلتها القصيرة أن تسلّط الأضواء الفاضية على ما تتميّز به الهند وأبناؤها كما هي قامت بالموازنة بينها وبين بلدها مصر وأرشدت الناس إلى الصراط السويّ كما هي ترى وتعتقد. وجاءت كل هذه الأشياء بأسلوب أدبي بليغ.

[٧٧] المصدر نفسه، ص ١٤

[٧٨] المصدر نفسه، ص ٣٦

[٧٩] المصدر نفسه، ص ٥٠

[٨٠] المصدر نفسه، ص ٨١

[٨١] المصدر نفسه، ص ٩٤

[٨٢] المصدر نفسه، ص ١١٤

[٨٣] المصدر نفسه، ص ١٣٧